دار القاسم

الخوف من الشرك

عبد الملك القاسم

الرياض ص.ب ٦٣٧٣ الرمز ١١٤٤٢ هاتف: ٤٠٩٢٠٠٠ ف: ٤٠٣٣١٥٠
جدة ت: ٦٠٢٠٠٠٠ ف: ٦٣٣٣١٩١ بريدة ت: ٣٢٦٢٨٨٨ ف: ٣٦٩٢٨٨٨
الدمام ت: ٨٤٣١٠٠٠ ف: ٨٤١٣٠١١ خميس مشيط ت: ٢٢٢٢٢٦١ ف: ٢٢٢٣٠٥٠
www.dar-alqassem.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

لأجل توحيد الله ـ عز وجل ـ وإفراده بالعباده؛ خُلقت الخليقة، ولتحقيقه شُرعت كل عبادة، فالتوحيد هو الغاية العظمى، والهدف الأسمى، والمقصد الأسنى؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

وحيث أن المسلم مأمور بعبادة الله وحده لا شريك، لابد أن يخاف من ضده وهو الشرك، ليحذره المؤمن ويخافه على نفسه.

فقد كان الأنبياء يخافون على أنفسهم من الوقوع فيه، وقد حذر الله الأنبياء ـ مع منزلتهم العالية ـ من الوقوع من الشرك ـ وحاشاهم ذلك ـ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥].

وعلى ذلك سار السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. قال حذيفة رضي الله عنه: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه، وفي الحديث: «**من أمن الله على دينه طرفة عين سلبه إياه**».

وفي الحديث أنه ﷺ كان يُكثر من قول: «**يا مُقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**» قيل له: يا رسول الله وإن القلوب لتتقلب قال: «**إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن، يُقلبها كيف يشاء**» فإن شاء ـ سبحانه ـ أقامها على دينه، وإن شاء أزاغها، فالعبد إذا منّ الله عليه بالتوحيد علماً وعملاً؛ فعليه الخوف من زوال هذه النعمة العظيمة.

وحقيقة الخوف من الشرك؛ صدق الإلتجاء إلى الله والاعتماد عليه والإبتهال والتضرع إليه، والبحث والتفتيش عن الشرك ووسائله وذرائعه ليسلم من الوقوع فيه؛ فإن عقابه عظيم وجرمه كبير.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨].

أي: لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به، أي عادل غيره به فيما يختص به ـ سبحانه ـ وصارف خالص حقه لغيره، ومشبه

المخلوق العاجز بمن له الكمال المطلق من جميع الوجوه، وإذا كان من مات على الشرك لا يُغفر له، وجب على العبد شدة الخوف من الشرك الذي هذا شأنه عند الله، ومع كونه أعظم الذنوب عند الله ـ سبحانه ـ، ولا يغفر لمن لقيه فهو هضم للربوبية، وتنقص للألوهية، وسوء ظن برب العالمين.

ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾. أي: يغفر ما دون الشرك من الذنوب لمن يشاء من عباده، وفي الصحيح أنه ﷺ أعطى ثلاثاً منها: «**وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئاً المقحمات**» [رواه مسلم] يعني الكبائر، ففيه فضل السلامة من الشرك قليله وكثيره، صغيره وكبيره، فتبين بهذه الآية ونحوها أن الشرك أعظم الذنوب؛ لأن الله أخبر أنه لا يغفر لمن لم يتب منه، وأما ما دونه من الذنوب فهو داخل تحت المشيئة، إن شاء غفر لمن لقيه به، وإن شاء عذبه.

ولهذا يجب الحذر من الشرك كله ومن ذلك: ما وقع فيه كثير من المنتسبين إلى الإسلام من الشرك الأكبر وذلك بالغلو في الأنبياء والصالحين، بسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات، والنذر والذبح لهم، وطلب الشفاعة منهم، وقد حذر النبي ﷺ أمته من ذلك.

ولا كفارة لهذا الشرك إلا بالتوبة منه، وإخلاص العمل لله وحده، وإلا فمن مات عليه فإنه مُخلد في النار، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

وها هو الخليل عليه السلام يدعو ربه بدعاء عظيم: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥]. أي: اجعلني وبنيَّ في حيز وجانب عن عبادة الأصنام، وباعد بيننا وبينها، وهذا مما يخيف العبد، فإذا كان الخليل عليه السلام إمام الحنفاء الذي جعله الله أمة وحده، وابتُلي بكلمات فأتمهن، وقد كسر الأصنام بيده، يخاف أن يقع في الشرك، فكيف يأمن الوقوع فيه من هو دونه بمراتب، بل أولى بالخوف منه وعدم الأمن بالوقوع فيه.

قال إبراهيم التيمي: «ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟! وقد وقع فيه الكثير من

هذه الأمة بعد القرون المفضلة، فبنيت المساجد والمشاهد على القبور وغيرها، وصرفت لهـا العبادات بأنواعها، وشـابهوا ما وقـع في الجاهلية وأعظم واتخذوا ذلك ديناً، وهي أوثان وأصنام، فإن الصنم مـا كان مصوراً على أي صورة، والوثن ما عُبد مما ليس له صورة كالحجر والأبنية، وقد يُسـمى الصنم وثناً، كما قال الخليل: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبـوت: ١٧] فالأصنام أوثان كما أن القبور بالنص أوثان، فالوثن أعم».

وقـال بعض العلماء: «كل ما عُبد من دون الله، بل كل ما يشـغل عـن الله يقال له صنم، وقـد بيّن الخليل عليه السلام السـبب الذي أوجب له الخوف من ذلك بقول: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم ٣٦]».

ومن أنواع الشـرك ما ذكره النبي ﷺ: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**» فسُـئل عنه فقال: «**الرياءُ**» [رواه أحمد والطبراني].

لـم يترك النبي ﷺ خيراً إلا دل أمته عليه، ولا شـراً إلا حذرها منه، ومن أعظم الشرك الذي حذرها منه الرياء؛ وهو أن يُظهر العبد عبادته أو يُحسنها ليراه الناس فيمدحونه عليها؛ وهذا شـرك أصغر يُبطل العمل الذي قارنه، ويأثم صاحبه؛ لأن الله ـ عز وجل ـ لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً. فإذا كان ﷺ يخاف الشرك على أصحابه؛ الذين وحدوا الله ورغبوا إلى ما أمروا به وهاجروا وجاهدوا وعرفوا ما دعاهم إليـه نبيهم، فكيف لا يخافه وما فوقه من لا يدانيهم، ومن لا نسـبة له إليهم في علم ولا عمل، خصوصاً إذا عُرف أن أكثـر الناس اليوم بل كثير من علماء الأمصار لا يعرفون من التوحيد إلا ما أقر به المشركون، لم يعرفوا معنى الإلهية التي نفتها كلمة الإخلاص عن كل ما سـوى الله، ويقولون من قالها فهو المسلم وإن فعل ما فعل، فينبغي للإنسان أن يحذر كل الحذر، ويخاف أن يقع في الشرك الأكبر إذا كان الشرك الأصغر مخوفاً على الصالحين، وقد أخبر ﷺ أمته بوقوع الشـرك، وقد عمت به البلوى فـي أكثر الأقطار، حتى اتخذوه ديناً، مع ظهور البراهين

في النهي عنه، والتخويف منه، وأفاد الحديث أن الرياء من الشرك الأصغر، وأنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين.

والشرك قسمان أكبر وأصغر، وبينهما فرق في الحكم والحد، فالأكبر أن يسوي غير الله بالله فيما هو من خصائص الله كالمحبة والدعاء والذبح، وحُكمه أنه لا يُغفر لصاحبه أبداً إلا بالتوبة، وأنه يحبط جميع الأعمال، وأن صاحبه خالد مُخلد في النار، والأصغر هو ما أتى في النصوص أنه شرك، ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر، وحكمه أنه لا يُغفر لصاحبه إلا بالتوبة، لعموم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ وأنه يُحبط العمل الذي قارنه، ولا يوجب التخليد في النار، ولا ينقل عن الملة، ويدخل تحت الموازنة، وإن حصل معه حسنات راجحة على ذنوبه دخل الجنة وإلا دخل النار. ولا يخفى أن الدعاء عبادة من أجَّل العبادات، وأعظم القربات فمن جعل لله نداً يدعوه سواء كان ملكاً مقرباً، أو نبياً مرسلاً، أو عبداً صالحاً، أو غير ذلك؛ فقد وقع في الشرك الأكبر الذي لا ينفع معه عمل صالح ولو كان صاحبه من أعبد الناس.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [غافر: ٦٠].

وفي الحديث الذي رواه البخاري عن النبي ﷺ أنه قال: «**من مات وهو يدعو لله نداً دخل النار**».

في هذا الحديث التحذير من الشرك والتخويف منه، فمن جعل لله نداً في العبادة؛ يدعوه ويسأله ويستغيث به، نبياً كان أو غيره دخل النار. والند المثل والشبيه، وإتخاذ الند على قسمين: أن يجعل لله شريكاً في أنواع العبادة أو بعضها، فهذا شرك أكبر، والثاني: ما كان من نوع الشرك الأصغر، كقول الرجل: ما شاء الله وشئت، ولولا الله وأنت، وكيسير الرياء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «وكبخله ـ لحب المال ـ ببعض الواجب؛ هو شرك أصغر، وحبه لما يبغضه الله، حتى يقدم هواه على محبة الله شرك أصغر».

وفي الحديث الذي رواه مسلم، عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من لقي الله لا يُشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يُشرك به شيئاً دخل النار».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «هذا حديث الموجبتين؛ موجبة السعادة، وموجبة الشقاوة».

وفي الحديث يبين ﷺ أن من مات لم يتخذ مع الله شريكاً في الإلهية، ولا في الخلق، ولا في العبادة دخل الجنة، ففيه فضيلة السلامة من الشرك، ومن حديث أبي ذر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «أتاني جبرائيل فبشرني أنه من مات من أمتك لا يُشرك بالله شيئاً دخل الجنة» قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق» وفي الرابعة: «على رغم أنف أبي ذر» ودخول من مات غير مشرك الجنة مقطوع به، لكن إن لم يكن صاحب كبيرة مات مصراً عليها دخلها أولاً، وإلا فهو تحت المشيئة، فإن عفا عنه دخلها أولاً، وإلا عُذب ثم خرج من النار وأُدخل الجنة.

فإذا كان التغليظ في النهي عن الشرك بهذه الشدة فينبغي شدة الخوف منه. وقوله: «شيئاً» نكرة تعم قليل الشرك وكثيره، أما الأكبر فلا عمل معه البتة، ويوجب الخلود في النار، ولا فرق بين الكافر عناداً وغيره، ولا بين من انتسب إلى ملة الإسلام أو خالفها، ومن المعلوم بالضرورة من الدين المُجمع عليه عند أهل السنة أن من مات لا يُشرك بالله شيئاً يدخل الجنة، وإن جرت عليه قبل ذلك أنواع من العذاب والمحن، وأما الشرك الأصغر كيسير الرياء، وقول الرجل: ما شاء الله وشئت، وما لي إلا الله وأنت، ونحو ذلك فيطلق عليه الشرك كما في حديث: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» ونحو ذلك، ولكن لا يخرج بذلك من الملة بالكلية، ولا يستحق اسم الكفر على الإطلاق، فهو أخف من الأكبر، وقد يكون أكبر بحسب حال قائله ومقصده.

[من كتاب: خطب التوحيد المنبرية]

دار القاسم تقدم برنامج سحائب للفتيات. يصل المشترك شهرياً كتيب تربوي* كتيب قصصي *مطوية بإشتراك سنوي ١٠٠ ريال فقط.

حقوق الطبع والنشر محفوظة

مطابع دار القاسم ت:٢٧٠٩٥٥٥ ف: ٢٧٠٧٧٠٨